ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Travelers' Perspectives on Trade in Aleppo During the Ottoman Era (1516-1840)

Shorouq Abdullah Khalaf/

General Directorate of Education Salah Al-Din

Ahmed Hussein Abed

University of Tikrit / Faculty of Education for Humanities / History Department

* *Corresponding author: E-mail* : Shroq.abdulla09@gmail.com

Keywords:
Travelers,
Aleppo,
Ottoman era,
commercial prosperity,
travelers' perspective.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 29 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 18 Nov 2024
Final Proofreading 25 May 2025
Available online 30 May 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

Since the Ottoman conquest of Aleppo in 1516, the city witnessed significant commercial prosperity, becoming a major economic hub within the Ottoman Empire. Aleppo's strategic location at the crossroads of trade routes between East and West made it a key center for the trade of various goods such as spices, textiles, metals, and silk. In the 17th. century, Aleppo became closely integrated into the international trade network, attracting merchants from Europe and Asia. Aleppo's markets were renowned for their diversity, and the city emerged as a center for the exchange of goods between the Ottoman Empire and Europe. The commercial relationships between Aleppo and European cities contributed to the growth and expansion of trade. By the second half of the 18th. century, however, Aleppo's commercial significance began to gradually decline due to several factors, including changes in international trade routes, the shift of economic power to other regions, and economic and political crises within the Ottoman Empire.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.5.2.2025.15

رؤية الرحالة للتجارة في حلب اثناء العهد العثماني(1516_1840)

شروق عبدالله خلف/ المديرية العامة للتربية / صلاح الدين

أحمد حسين عبد الجبوري/ جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

منذ سيطرة العثمانيين على حلب في عام 1516، شهدت المدينة ازدهارًا تجاريًا ملحوظًا، اذ أصبحت مركزًا اقتصاديًا رئيسًا في الدولة العثمانية، ان موقع حلب الاستراتيجي على مفترق الطرق التجارية بين الشرق والغرب جعلها محطة رئيسة لتجارة السلع المختلفة مثل التوابل، المنسوجات، المعادن، والحرير،

في القرن السابع عشر ارتبطت حلب بشكل وثيق بشبكة التجارة الدولية، اذ توافد عليها التجار من أوروبا وآسيا ، واشتهرت أسواق حلب بتنوعها، وبرزت المدينة كمركز لتبادل السلع بين الدولة العثمانية وأوروبا ، ان تطور العلاقات التجارية بين حلب والمدن الأوروبية أسهمت في نمو التجارة وتوسيع نطاقها، بحلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأت الأهمية التجارية لحلب تتراجع تدريجيًا بسبب عدة عوامل، منها التغيرات في الطرق التجارية الدولية، وتحول مركز الثقل الاقتصادي إلى مناطق أخرى، فضلا عن الأزمات الاقتصادية والسياسية داخل الدولة العثمانية.

الكلمـــات المفتاحيـــة : الرحالــة ، حلــب ، العهــد العثمــاني ، ازدهــار التجــارة ، رؤيــة الرحالة.

المبحث الاول

مدينة حلب موقعها واصل تسميتها

مدينة حلب هي واحدة من أقدم المدن المأهولة في العالم، تقع في شمال غرب سوريا ، تتمتع بموقع استراتيجي على تقاطع طرق التجارة القديمة بين الشرق والغرب، مما جعلها مركزًا تجاريًا وثقافيًا مهمًا عبر التاريخ، تاريخها يعود إلى آلاف السنين ، لذا لابد من التعريف بموقع مدينة حلب واصل تسميتها وعلى النحو الآتي:

- موقع مدينة حلب:

بدأت تظهر أهمية حلب في القرن السادس عشر، وحافظت على تلك الاهمية إلى نهاية القرن التاسع عشر، كما عرفت بأنها مدينة تقليدية نظراً لموقعها الاستراتيجي الحيوي والمهم، لاسيما وانها تقع شرق البحر المتوسط، وقد تميز موقعها عن بقية الولايات كونها عدت حلقة وصل بين الدولة العثمانية وبلاد الشام، وأحد أهم الطرق التجارية البرية بين الشرق والغرب (البطوش، 2004: 4-6)، عن طريق نهر قويق الذي يربط حلب بمدينة عينتاب، وتقع ايضاً بين خطي طول(38,68,5) شرقاً، ودائرة عرض (40,12) شمالاً (راسل، 1997: 24)، كما تمتلك موقعاً تجارياً مهماً، بسبب محاذاتها لطريق التجارة الذي اعطاها مكانة بارزة ومهمة لدى الدولة العثمانية حتى اراد السلطان العثماني سليم الاول (حليم، 1988: 79-82) (1512_1520) عندما دخل حلب في الثامن والعشرين من اب 1516 على أثر معركة مرج دابق (الشلي، 2008: 241)، ان يدير شؤونها بنفسه وعدها ثالث مدن الدولة، ولا ننسى وفرتها المائية التي أكسبها موقعاً متميزاً لوجود العديد من الانهار فيها مثل: نهر الفرات، نهر الساجور، النهر العاصي الذي يسمى ب(النهر المقلوب) (راسل، 1997: 25).

- اصل تسمية مدينة حلب:

اتخذت حلب تسميات عدة واختلف المؤرخين في تحديد تسميتها بشكل دقيق، الا ان بعض المصادر اكدت ان التسمية الاصح والاقرب للحقيقة التي جاءت في كتاب أبي الفضل محمد بن الشحنة (الشحنة، د.ت: 15-20) (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب)، وقد ذكر ان اصل التسمية يعود إلى التل الذي كان نبي الله ابراهيم(عليه السلام) يرعى اغنامه فيه وعندما يدخل وقت حلب ماشيته يلتف الناس من حوله وينادون حلب نبي الله ابراهيم اغنامه، وبناءً على ذلك اتخذت التسمية، ومعنى اسم حلب عربي ومعناه تل القلعة (الشحنة، د.ت: 26).

المبحث الثاني

تجارة حلب في كتابات الرحالة (1516_1840).

عدت حلب واحدة من أهم المدن التجارية في الشرق الأوسط، وقد كانت مركزًا للتجارة الإقليمية والدولية لعدة قرون ، وفي كتابات الرحالة الذين زاروا حلب عبر العصور، برزت المدينة كمركز تجاري حيوي، يجتذب التجار من مختلف أنحاء العالم ، تلك الكتابات تزخر بوصف الأسواق الكبرى التي كانت تعج بالسلع من الشرق والغرب، وتصف النشاط التجاري الذي كان يدور في أسواق حلب، اذ كانت البضائع مثل التوابل، الأقمشة، الحرير، المعادن، والأحجار الكريمة تُباع وتُشترى ، إذ ان الرحالة كانوا ينبهرون بالتنظيم الدقيق للأسواق وتنوع السلع، فضلاً عن الروح التجارية التي سادت بين سكان حلب، ان المدينة كانت بمثابة ملتقى للحضارات والثقافات، اذ امتزجت التقاليد التجارية المحلية مع أساليب التجارة التي جلبها التجار من أوروبا وآسيا وأفريقيا.

- ازدهار تجارة حلب منذ السيطرة العثمانية حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

إن الموقع الجغرافي لمدينة حلب بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا واوربا أهلها للقيام بدور الوسيط في تجارة العالم القديم بين المشرق والمغرب، لذلك وعلى مر العصور كانت حلب تشكل سوق مهم لتجارة العالم القديم، نظراً لوصول اغلب الطرق التجارية إليها (الدباغ، 1972: 28).

نظراً لموقع حلب الاستراتيجي، أصبح أهلها من أمهر التجار في العالم، كما امتاز الحلبيون بحسن معاملاتهم التجارية، لاسيما فن الإقناع والتراضي والتوافق، فضلاً عن إجادة التعامل مع الثقافات واللغات الأجنبية، زد على ذلك ولعهم بالمغامرة وحبهم لاكتشاف البلدان الأخرى (هلال، د.ت: 45).

شهد القرن السادس عشر الميلادي حدثين مهمين بالنسبة لمدينة حلب، تمثل الأول منهما باكتشاف البرتغاليون لطريق رأس الرجاء الصالح (Diego:432)، بواسطة المستكشف فاسكو ديغاما (Vasco Digama) عام ١٤٩٧، وبذلك استطاعوا الوصول إلى تجارة الهند ومناطق جنوب شرق آسيا عن طريق الالتفاف حول القرن الافريقي دون المرور بمناطق المشرق العربي، للتخلص من الرسوم الكمركية التي

كانت تفرض على حمولاتهم، لذلك تأثرت مدينة الإسكندرية باكتشاف ذلك الطريق وبشكل كبير (اباضة، د.ت: 48-50)، إذ كانت تمثل المركز الرئيس للقوافل القادمة من مناطق جنوب شرق آسيا، مما أدى إلى افتقار اسواقها للتوابل والحرير، فضلاً عن ارتفاع الأسعار فيها (اباضة، د.ت: 6-7)، وفي السياق ذاته، فإن البرتغاليون شددوا الحصار على جميع طرق المواصلات الحربية التي يمكن أن تنافس طريق راس الرجاء الصالح، مما جعل المناطق المطلة على البحر المتوسط بعزلة شديدة (غاوبه واخرون، 2007: 605).

اما الحدث الثاني المهم بالنسبة لمدينة حلب في القرن السادس عشر، فقد تمثل بالسيطرة العثمانية على ولايات بلاد الشام وازاحة حكم المماليك بعد الانتصار عليهم في معركة مرج دابق الشهيرة عام ١٥١٦، ويبدو ان تلك السيطرة قد عوضت حلب ما أضر بتجارتها نتيجة اكتشاف البرتغاليون لطريق راس الرجاء الصالح، إذ منحت السيطرة العثمانية لمدينة حلب موقعاً متميزاً، فأصبحت بموجب تلك السيطرة تسيطر على جميع طرق القوافل داخل اقاليم الدولة العثمانية الواسعة، مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم وجود قيود كمركية تعيق حجم التجارة الداخلية في الدولة العثمانية، فضلاً عن ذلك، فإن موقعها الذي يربط بين استانبول وبغداد جعل منها مركزاً لتجمع الجيوش العثمانية طيلة مدة الصراع مع الدولة الصفوية، ومن جانب آخر فقد أعطت السيطرة العثمانية لحلب ميزة اقتصادية أخرى تمثلت في جعلها محطة استراحة لقوافل الحجاج، وقد ساهمت تلك القوافل بنهضة اقتصادية وثقافية ودينية لمدينة حلب (ريمون، 2007: 295).

أكد محمد ابن الشحنة تفوق حلب على الاسكندرية لاسيما في النصف الاول من القرن السادس عشر، بقوله: **((إن جميع ما يجلب الى حلب من بضائع كالحرير، والصوف، والقماش العجمي، وانواع الفراء، وسائر الوبر، والبضائع الهندية، واجناس الرقيق من الجركس والترك والروم وبقية الاجناس، ممكن ان يباع في يوم واحد ما لا يباع في غيرها بمدة شهر، فمثلاً أذا حضر اليها مائة حمل حرير فأنه يباع في يوم واحد ويقبض ثمنه، ولو حضر الى الاسكندرية عشر احمال فأنها لا تباع بمدة شهر))** (الشحنة، د.ت: 50).

إن حركة البيع والشراء النشطة في اسواق حلب اشار اليها ايضاً الرحالة بير بيلون لومانس (Per Billon Le Mans) (Michael,1990 :143-144) الذي زار حلب عام 1537، إذ قال: **((حلب مدينة ضخمة تأتيها القوافل من بلاد فارس والعراق وغيرها من انحاء المشرق، وتفرغ ما في حمولتها فيها، وان كل من يريد ان يسافر الى الهند او فارس او مناطق اخرى، فانه يجد تجاراً يمكنه ان يرافقهم... وحينما تفد القافلة الى حلب، محملة بشتى السلع فأنها تباع في يوم واحد، لان فيها تجار اغنياء جداً يشترونها برمتها))**(هلال، د.ت: 57).

إن الحكم العثماني لمدينة حلب قد منحتها الأمان لسنوات طويلة، فحلب التي كانت تشكل مجرد منطقة حدودية تطل على دول معادية إبان حكم دولة المماليك، أصبحت تشكل قلب الدولة العثمانية النابض، والبعيد عن صراعات الدولة سواء كانت صراعات الدولة العثمانية مع اقاليمها في البلقان (بويا، 2004: 69-60)، أو صراعها مع الدولة الصفوية (ريمون، 2007: 294)، بل انها استفادت من صراع الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية، عن طريق تجمع حملاتها العسكرية المتجه إلى العراق كما مر سابقاً.

على الرغم من الحركة التجارية النشطة ما بين حلب وبقية ارجاء الدولة العثمانية، غير ان تلك الحركة كانت تتعرض وفي احايين كثيرة الى مضايقة قطاع الطرق واللصوص، وقد بين لنا الرحالة الايطالي كاسبارو بالبي(Casparo Balbi)، والذي قام برحلة من حلب الى مدن العراق عام 1579، بأن رحلته قد تعرضت وعلى طول الطريق لمضايقة اللصوص، لاسيما اثناء رحلة ما بين مدينتي حلب والرقة (بالبي، 2008: 28-33).

شهدت حلب في القرن السادس عشر ظاهرة منتظمة، كان لها دور كبير في تجارتها ، تمثلت في القوافل السنوية على خط حلب_ بغداد_ البصرة وبالعكس (غاوبه واخرون، 2007: 615)، وبذلك الصدد أشار ك. ب، غرانت (K. B, Grant) الرحالة الذي زار حلب عام ١٥٩٨ إلى: **((كان هناك قافلتان كبيرتان (١٠٠٠_٢٠٠٠) جمل، تشدان الرحال سنوياً من حلب إلى البصرة ومن البصرة إلى حلب لتغطية احتياجاتها من حيوانات النقل،... فضلاً عن قوافل صغيرة عديدة كانت تتحرك سنوياً بين حلب وبغداد))** (غاوبه واخرون، 2007: 615-616).

نظراً لموقعها الجغرافي المتميز وازدهار تجاربها النشطة، فقد استفادت حلب كثيرا من نظام الامتيازات (المحمد، 2009: 14) الذي منحته الدولة العثمانية للدول الأوربية، إذ عقد السلطان سليم الأول معاهدة مع البندقية (Casparo, 1976: 19) (Venice) عام ١٥١٧، ضمنت عن طريقها سلامة وأمن ومصالح رعاياها المقيمين في أرجاء الدولة العثمانية، ثم جاء ابنه السلطان سليمان القانوني (امجان، 2016: 23) (1520_1566) فعقد معاهدة مع ملك فرنسا فرانسو الأول (Hackett, 1989: 923-924) (François I) عام ١٥٣٥، عرفت بمعاهدة **(صداقة وتجارة بين السلطنة العثمانية وفرنسا)**، ضمنت عن طريقها فرنسا مصالح رعاياها (المحمد، 2009: 15)، لاسيما طبقة التجار الذين تمتعوا بحرية التنقل في أرجاء الدولة العثمانية، فضلاً عن الرسوم الكمركية البسيطة التي فرضت عليهم (الشناوي، 1986: 718).

نظراً للحقوق التي وفرتها تلك الامتيازات لرعايا الدول الأوربية، فقد تدفق العديد من الأجانب إلى بلاد الشام بشكل عام وفي حلب بشكل خاص، لاسيما وانها شكلت حلقة وصل بين تجارتي أوربا والمشرق،

فضلاً عن الحركة التجارية النشطة فيها، الأمر الذي شجع الجاليات الأوربية إلى التمركز فيها وبأعداد كبيرة جداً (الغتيت، د.ت: 195).

بوجود تلك المكاسب الاقتصادية، فأن النصارى وجدوا التعايش السلمي في حلب، مما ادى الى نجاحهم التجاري، وذلك ما اشار اليه الرحالة الفرنسي بير بيلون لومانس، في زيارته لحلب إذ قال: **((لم يكن الاوربيون في مدينة حلب بعيدين عن وطنهم، فحين زرت حلب شعرت بانني بين اهلي، وأن ساكني الخانات يشكلون طبقة معتزة بنفسها، ولم يتخلوا عن عاداتهم، وقد نسيت انني في المشرق))** (Michelle J, 1990: 43) ، كما اكد الرحالة الفرنسي قسطنطين فرانسوا فولني (Constantine Francois Volney) ذلك التعايش السلمي بين النصارى والمسلمين، بقوله: **((ان الحلبيون بمسلميهم ومسيحيهم يعدون اكثر سكان الدولة العثمانية ثقافة، ولا يتمتع الاوربيون في اي مكان بمثل ما يتمتعون به هنالك من حرية واعتبار، لذلك غدت مدينتهم ملجأ للمضطهدين المسيحيين، حتى فاق عددهم عدد السكان المسلمين، وهكذا تعايشت الاديان والمذاهب في حلب بوئام، وفيما طرد الاوربيون مسلمي الاندلس، فأن حلب كانت تستقبل افواج المهاجرين المسيحيين بالترحاب))** (فولني، 1949: 244).

تاسيسا على ما سبق، فإن القرن السادس عشر جلب معه لحلب علاقات تجارية واسعة ومهمة وعملاء جدد، فمن المعروف سيطرة المدن التجارية الإيطالية على تجارة الشرق طيلة القرون الوسطى الأوربية، بيد ان القرن السادس عشر شهد تنافس أوربي محتدم على تلك التجارة، إذ دخلت كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا بمنافسة قوية مع المدن الإيطالية، لاسيما وان تلك الدول امتازت معاملاتها التجارية بالجودة عن طريق بضائعهم النسيجية الرخيصة ونقودهم الجاهزة وملاحتهم الآمنة (غاوبه واخرون، 2007: 611) (الغتيت، د.ت: 195).

نتيجة للمنافسة الأوربية الآنفة الذكر، سارعت مدينة البندقية والتي لها باع طويل في تجارة الشرق، أن تقيم لنفسها قنصلية في حلب عام ١٥٤٨، مهمتها بالدرجة الاساس المحافظة على تجارة الشرق، وحصرها بيدها، غير أن الدول الأوربية فوتت عليها الفرصة، إذ سرعان ما لحقت بها فرنسا التي أنشأت لنفسها قنصلية ووكالات تجارية في حلب عام ١٥٦٢، ثم تبعتها بريطانيا عام ١٥٨٣، ثم حذا الهولنديون حذوهم بإقامة قنصلية لهم في حلب عام ١٦١٣ (الغتيت، د.ت: 195).

لقد اشار الرحالة البرتغالي بدرو تايكسايرا (https://ar.wikipedia.org/wiki) (Badru Taixaira) الذي زار حلب عام 1605، الى مهمة الوكالات التجارية الاوربية بقوله: **((لقد كان القسم الاكبر من التبادل التجاري مع اوربا وبالتحديد الفرنسيون والبنادقة والهولنديين، وكان للقنصل الفرنسي مكانة بارزة، وفي العقد الاول من القرن السابع عشر خسرت البندقية تجارة الحرير الفارسي، واصبحت**

مرسيليا اهم مشتر للحرير على مستوى المراكز التجارية في المشرق)) (غاوبة واخرون، 2007: 612).

شهد مطلع القرن السابع عشر قيام شركة المشرق البريطانية والتي كانت تتخذ من مدينة طرابلس الشام مقراً لها، بنقل مقرها إلى حلب عام ١٦١٣، نظراً لازدهار تجارتها الدولية، وقد نشط التجار البريطانيون طيلة مدة ذلك القرن، لاسيما المتاجرة ما بين حلب وإيران والعراق وشرق الاناضول، إذ قام التجار البريطانيون ببيع الاقمشة الصوفية في تلك المناطق، واستيراد الحرير من مراكز إنتاجه في قزوين (محمود، 2012: 199–208) (Qazvin) وديار بكر (صحيفة العربي الجديد)، ولم تكن مدينة حلب بالنسبة لذلك التبادل التجاري مجرد محطة عبور وشحن وتفريغ، بل قامت شركة المشرق البريطانية بشراء خيوط صوف الموهير المصنوع في المدينة ، مقابل مد المدينة بما تحتاجه من الرصاص والقصدير (غاوبه واخرون، 2007: 621).

اعتمدت شركة المشرق البريطانية في تجارتها مع بلاد فارس على الارمن الذين يعيشون هناك كسماسرة ووسطاء، لاسيما تجارة الحرير، غير أن التهجير القسري للارمن في عهد الشاه عباس الصفوي (عذاب، 2023: 77–81) ما بين عامي (١٦٠٣ _ ١٦٠٥)، دفع بالعديد من تجار الارمن إلى اللجوء صوب حلب، وكان لهم دور كبير بازدهار تجارتها ، إذ قام أولئك التجار ببيع البضائع الحلبية وفي مقدمتها الصابون الحلبي العالي الجودة، في أسواق العراق وايران وحتى في أسواق الهند في بعض الأحيان (غاوبه واخرون، 2007: 621–622).

أكد الرحالة الفرنسي جان باتيست تافرنييه(Jean-Baptiste Tavernier)الذي زار حلب عام١٦38، بأن حلب تشهد تجارة مزدهرة، ترتكز على الحرير، والمنسوجات المحاكة من وبر الماعز، فضلاً عن رواج تجارة الصابون، ويقصدها اغلب تجار العالم، لاسيما العرب والفرس والاتراك والهنود، زد على ذلك انتشار التجار الاوربيين، كالايطاليون والبريطانيون والفرنسيون والهولنديون، ولكل طائفة من اولئك قنصليتها، تكون مسؤولة عن تنظيم شؤونها ورعاية مصالحها.

اكد الرحالة ج. شاردين (C. Chardin) الذي زار حلب عام ١٧١١، رواج تجارة الصابون الحلبي بقوله: **((كان الصابون الحلبي اهم بضاعة مطلوبة في بلاد فارس، نظراً لكونه اجود انواع الصابون المنتجة ليس في الشرق فحسب بل في العالم، وذلك لنعومته، ونقائه، وصلابته، وهو افضل بكثير من الصابون المتوفر في أوربا))** (غاوبه واخرون، 2007: 623).

شهد أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر زيادة وصول التوابل والاصباغ النباتية إلى حلب، وعن طريق طرق القوافل الممتدة في الشرق الأدنى، إذ أن تلك الطرق الممتدة في البيادي والصحاري التي يسودها المناخ الصحراوي، تعد ملائمة لنقل البضائع أكثر من النقل البحري ذات المناخ الرطب والحار، فضلاً عن ذلك، فإن النقل عن طريق القوافل اسرع من النقل البحري المعتمد على السفن

الشراعية والرياح الموسمية، زد على ذلك، كثرة القرصنة المنتشرة على الطرق البحرية، والتي كانت تهدد أمن الحمولات التجارية (غاوبه واخرون، 2007: 623) ، لابد من الإشارة إلى أن حلب وبناءً على المعطيات السابقة الذكر، أصبحت وبكل جدارة ثالث أكبر مدينة في الدولة العثمانية بعد استانبول والقاهرة (ريمون، 2007: 296).

اما من حيث القيمة التجارية، فقد فاقت بقية مدن الدولة العثمانية (الاسدي، 2006: 48)، وذلك ما اكده الاخوين راسل (راسل، 1997: 12) (The Russell brothers) اللذين كانا يعملان طبيبان للجالية البريطانية في حلب للمدة الممتدة ما بين عامي (1742_ 1768)، إذ اشارا الى أن: **((حلب عاصمة سورية والمدينة الثالثة بعد الاستانة والقاهرة، فيها ثمانون مؤسسة تجارية اجنبية، عائداتها حوالي ثمانية عشر مليون فرنك))**.

- تدهور التجارة في حلب من أواخر القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع عشر:

تتفق جميع تقارير الرحالة الذين زارو حلب على أن المدة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعد بمثابة انحدار خطير بالنسبة لتجارة حلب، وقد تضافرت عدة عوامل لذلك الانحدار، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ازدهرت مدينة ازمير (غوفمان وآخرون، د.ت: 420-432) طيلة القرن الثامن عشر ازدهار كبيراً، لدرجة انها تفوقت على حلب، وغدت اهم مركز تجاري في الدولة العثمانية، كون الطرق التي تنطلق منها نحو العراق والاناضول وأذربيجان كانت آمنة، كما كان لها دور نشط في التبادل التجاري مع بلاد فارس، لدرجة أنها استحوذت على تصدير الحرير الفارسي إلى أوربا، فضلاً عن انتشار المحاصيل الزراعية حولها، مما ساعدها في تبوء مكانة الصدارة في المراكز التجارية بالدولة العثمانية (غاوبه واخرون، 2007: 625).

حتى داخل ولايات بلاد الشام ذاتها لم تعد حلب تتمتع بالزعامة التجارية المطلقة، إذ بدأ التبادل التجاري يتم عن طريق الجنوب الشامي، لاسيما بيروت ودمشق، لدرجة ان شركة المشرق البريطانية اضطرت بسبب انتكاسات حجم التبادل التجاري إلى إغلاق مقرها في حلب عام ١٧٩١ (الغزي، 1985: 100).

استعاضت ولايات بلاد الشام عن استيراد الحرير الفارسي، بالمنتج المحلي، غير أن دودة الغز الشامية تعيش وتنمو بسفوح جبال لبنان، لذلك انتقلت تجارة الحرير إلى الجنوب بشكل كامل، وازدهرت مدن الجنوب السوري مثل بيروت، وطرابلس، وصيدا، وصور، وعكا (غاوبة، 2007: 625).

نتيجة لما سبق، ازدهرت تجارة مدينة دمشق، نظراً لمجاورتها موانئ الجنوب السوري، فضلاً عن كونها مقر مفضل للقنصليات والوكالات الأوربية، وبذلك تحولت فرنسا إلى اهم مستورد للحرير الشامي، وظهر ذلك وأصبح واضحاً من الدور النشط الذي قامت به غرفة تجارة مرسيليا في تجارة الحرير الشامي (غاوبه، 2007: 625).

تأسيساً على ما سبق، انتقل العديد من نصارى حلب إلى مدن الجنوب الشامي، واعتنقوا مذهب الروم الكاثوليك، وعملوا كوسطاء بين منتجي الحرير في المناطق الجبلية والتجار الفرنسيين (توتل، 1958: 40-42).

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي قيام قبائل شمر وعنزة بالزحف من داخل شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الزراعية في الهلال الخصيب، وقد أضر الانتقال بطرق المواصلات التجارية، التي فقدت امنها، بسبب شيوع عمليات السلب والنهب وفرض الاتاوات على القوافل التجارية (فردريك واخرون، 1999: 227)، وذلك ما أكده الرحالة فولني بقوله: **((ان المئات من القرى المنتشرة في محيط حلب، كان هجرها أهلها نتيجة غارات البدو المتعددة))** (فولني، 1949: 249).

شهد أواخر القرن الثامن عشر حدوث العديد من الاضطرابات والقلاقل في حلب، ففي عام ١٧٧٥ قام الحلبيون بطرد والي المدينة العثماني علي باشا (توتل، 1958: 56)، بتحريض من قوات الانكشارية (يوسف، 2009: 305-306) ، وتتابعت حركات التمرد طيلة المدة الممتدة بين عامي(١٧٧٨_١٧٨٤)، التي كان يقف ورائها الانكشارية والإشراف، فضلاً عن ذلك فقد تعرضت المدينة لمرض الطاعون اثناء المدة الممتدة بي عامي(١٧٨٦_١٧٨٧)، بمعدل وفيات قدرت بـ (١٥٪) من سكان المدينة (ريمون، 2007: 313).

أن حلول القرن التاسع عشر كان اشد وطأة من القرن السابق، فقد بدأ ذلك القرن بموجة من امراض الطاعون في أعوام(١٨٠٢، ١٨٠٨، ١٨١٥)، فضلاً عن ذلك، تعرضت المدينة لزلزال في عام ١٨٢٢، راح ضحيته إعداد كبيرة من السكان(ريمون، 2007: 313).

على الرغم من أن مدة حكم إبراهيم باشا (الزركلي، 2002 :70/1) على بلاد الشام التي بدأت بحملته الشهيرة عام ١٨٣١، كانت قد تميزت بالاستقرار الداخلي، لاسيما وانه وفر الأمان للمدينة بشكل كبير جداً، بيد ان هناك جوانب سلبية رافقت تلك الحقبة، وبالتحديد ما يتعلق بالأمور الاقتصادية، إذ اثقلت الضرائب المفروضة من قبل إبراهيم باشا كاهل الاهالي، فضلاً عن تحكم الدولة بالأسعار، وتوقف الإنتاج المحلي، نتيجة أخذ اغلب الشباب إلى تأدية نظام الخدمة العسكرية الالزامية، مما حرم الأسواق من وفرة الايدي العاملة (هلال، د.ت:59-60).

ضرب الطاعون مدينة حلب مرة أخرى، فقد تعرضت المدينة إلى طاعون عام ١٨٣٧، أودى بحياة عدد كبير من السكان، وكما هو معروف بأن مثل ذلك المرض الوبائي يكون معدياً، لذلك تشهد مدة انتشاره حالة كساد حاد في الأسواق، خوفاً من الإصابة بذلك المرض (غاوبه واخرون، 2007: 644).

شهد عام ١٨٤٠ وقوف الدول الأوربية مع الدولة العثمانية في حربها مع والي مصر محمد علي باشا (الايوبي، 2014: 42) ، وبعد أن تمكن الحلفاء من دحر القوات المصرية، وفرضوا معاهدة لندن (المصطفى، 2014: 123-125) على محمد علي باشا في العام ذاته، لذلك اضطر إبراهيم باشا

الانسحاب من جميع بلاد الشام، وبذلك أشار العديد من القناصل الاوربيون إلى وضع الحياة الاقتصادية في ولايات بلاد الشام بعد ذلك الانسحاب بقولهم: **((على الرغم من أن ولايات بلاد الشام كانت اكثر تنظيماً إبان عهد إبراهيم باشا، غير أن لم يعد يُجبر الشباب إلى الخدمة الالزامية، مما انعش حركة التجارة))** (غاوبه، 2007: 644).

الخاتمة:

اثناء العهد العثماني (1516–1840)، كانت مدينة حلب تحتل مكانة مرموقة كمركز تجاري رئيس في المنطقة، اذ شهدت حركة تجارية نشطة بفضل موقعها الاستراتيجي على طرق التجارة العالميةن عن طريق كتابات الرحالة الذين زاروا المدينة اثناء تلك المدة، يتضح أن حلب كانت تمثل نقطة التقاء بين الشرق والغرب، ما جعلها مقصدًا للتجار من مختلف أنحاء العالم.

أظهرت رؤى الرحالة أن حلب كانت تزخر بأسواق حيوية وموانئ تجارية نشطة، وكانت تتمتع بنظام تجاري متطور ساهم في ازدهار المدينة اقتصاديًا وثقافيًا، وكانت التجارة في حلب تشكل العمود الفقري للاقتصاد المحلي، وتعزز التفاعل بين الثقافات المختلفة، مما ساهم في تكوين نسيج اجتماعي متنوع وغني.

يتضح عن طريق تحليلات الرحالة أن حلب خلال العهد العثماني لم تكن مجرد مركز تجاري، بل كانت أيضًا رمزًا للتعايش والتفاعل الثقافي، إن دراسة رؤية الرحالة للتجارة في حلب تتيح لنا فهمًا أعمق للدور الذي ادته المدينة في الاقتصاد الإقليمي والعالمي، وتبرز أهمية موقعها كجسر بين الحضارات المختلفة.

المصادر الاجنبية:

1. Diego, J. Means, Vasco Digama, The Great Explorer, Journal of Scientific Bulletins, Brussels, Volume (5), Issue (21).
2. Michael, Peter, The Mission of French Doctors to the Ottoman Empire, Journal of the University of Paris, Issue (32).
3. Francis Hackett, Francis the First New York, Doran Co, 1937, The Encyclopedia Britannic, Vol.4,U.S.A, New York, 1989.
4. Quoted in: Michelle J. Theodore, Scientific Journeys to the East, Paris, 1990.

Reference:

1- Ibrahim Bek Halim, The Sublime Ottoman State (The Halimiyya Masterpiece in the History of the Ottoman State), Scientific Books Foundation, Beirut, 1988.
2-The Alexander Brothers and Patrick Russell, The Natural History of Aleppo in the Eighteenth Century, translated by: Khaled Al-Jubaili, Arab Press, (n.d.), 1997.
3- Andre Raymond, Aleppo in the Ottoman Era (from the Sixteenth to the Eighteenth Century), translated by: Malika Abyad, Syrian Ministry of Culture, Damascus, 2007.
4- Amal Hussein Mahmoud, Qazvin, the Capital of the Safavid State, Journal of the Faculty of Arts in Qena, Issue (39), 2012.
5- John Frederick Williamson, The Arab Shammar Tribe, Its Status and Political History 1800-1958, London, 1999.
6- Khair al-Din al-Asadi, Aleppo Neighborhoods and Markets, Publications of the Ministry of Culture, Damascus, 2006.
7- Khair al-Din al-Zarkali, Al-Alam, Dar al-Ilm li-Malabin, Damascus, 2002.
8- Daniel Goffman et al., The Ottoman City between East and West, Aleppo-Izmir, Istanbul, translated by: Zeli Debian, Al-Obeikan Library, Cairo, n.d.
9- Rajab Boya, The Albanians and Peace, Dar Al-Salam, Cairo, 2004.
10- S. F. Volney, Three Years in Egypt and the Levant, translated by Adwar Al-Bustani, Publications of the Ministry of National Education and Fine Arts, Beirut, 1949.
11- Aisha Al-Dabbagh, The Intellectual Movement in Aleppo in the Second Half of the Eighteenth Century and the Beginning of the Twentieth Century, Dar Al-Fikr, Beirut, 1972.
12- Abdul-Ilah Ahmed Al-Mustafa, European Politics and Its Development in the Levant (1840-1878), Master's Thesis (unpublished), Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus, Syria, 2014.
13- Abdul-Aziz Muhammad Al-Shinawi, The Ottoman State: A Slandered Islamic State, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1986.
14- Imad Abdul-Aziz Youssef, Janissary Rebellions in the Ottoman State 1481-1648, Journal of Research of the College of Basic Education, University of Mosul, Volume (9), Issue (4), 2009.
15- Farouk Othman Ibaada, The Effect of the Shift of World Trade to the Cape of Hope Al-Salih on Egypt and the Mediterranean World in the Sixteenth Century, Dar Al-Maaref, Cairo, (n.d.).
16- Ferdinand Tuttle, Historical Documents on Aleppo, Catholic Press, Beirut, 1958.
17- Fereydoun Amjan, Suleiman the Magnificent, Sultan of the Two Lands and the Two Seas, Facts in Light of the Sources, 2nd ed., Dar Al-Nil, Cairo, 2016.
18- Fouad Hilal, Aleppo Chamber of Commerce (25 Years in the Service of the National Economy), issued by the Aleppo Chamber of Commerce on the Occasion of the Capital of Islamic Culture, Aleppo, (n.d.).
19- Faisal Al-Shalli, Bilad Al-Sham under the Second Mamluk State 1381-1517, Dar Al-Zaman, Damascus, 2008.

20- Gasparo Balbi, The Journey of the Italian Gasparo Balbi to Aleppo_Deir ez-Zor_Anha_Fallujah_Baghdad in 1579, translated by: Boutros Haddad, Arab Encyclopedia House, Beirut, 2008.
21- Kamel Al-Ghazi, The River of Gold in the History of Aleppo, Maronite Press, Aleppo, 1895.
22- Alexander and Patrick Russell, The Natural History of Aleppo, translated by: Khaled Al-Jubaili, London, 1997.
23- Muhammad bin Al-Shihna, The Selected Pearl in the History of the Kingdom of Aleppo, Introduction: Abdullah Muhammad Al-Darwish, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, (n.d.).
24- Muhammad Ali Al-Ghatit, The West and the East from the Crusades to the Suez War, National House Printing Press, Cairo, (n.d.).
25- Muhanna Al-Muhammad, European Communities in the State of Aleppo (1112-1215 AH/1700-1800 AD), Master's Thesis (unpublished), Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, 2009.
26- Nawal Zaghir Adhab, Shah Abbas I (1571-1629), Uruk Journal for Humanities, Al-Muthanna University, Volume (16), Issue (1), 2023.
27- Heinz Gaube and Eugen Wert, Aleppo: Historical and Geographical Studies on the Urban Structure, Social Composition and Economic Movement of One of the International Trade Centers in the Near East, Translated by: Sakhr Al-Alaby, Publications of the Ministry of the Syrian General Authority for Books, Damascus, 2007.
28- Elias Al-Ayyubi, Muhammad Ali, His Biography, Works and Effects, Hindawi Foundation, Cairo, 2014.
29- Youssef Muhammad Salem Al-Batoush, History of Social Life in the City of Aleppo in the Second Half of the Sixteenth Century, Thesis Master's (unpublished), Deanship of Graduate Studies, Mu'tah University, 2004.
30- https://ar.wikipedia.org/wiki.
32- Al-Araby Al-Jadeed newspaper, issue (3116), March 14, 2023.
33- Diego, J. Means, Vasco Digama, The Great Explorer, Journal of Scientific Bulletins, Brussels, Volume (5), Issue .(21).
34-Michael, Peter, The Mission of French Doctors to the Ottoman Empire, Journal of the University of Paris, Issue (32).
35- Francis Hackett, Francis the First New York, Doran Co, 1937, The Encyclopedia Britannic, Vol.4,U.S.A, New York, 1989.
36- Quoted in: Michelle J. Theodore, Scientific Journeys to the East, Paris, 1990.